

جهود حماية مخطوطات وادي مزاب وقراءة وصفية لفهارسها.

أ. زهير بابا واسماعيل

جامعة غرداية

توطئة:

يعتبر المخطوط ذاكرة الأمة، وتأويل حاضرها، واستشراف مستقبلها، كما يعدّ مؤشرا صريحا على مكانة الثقافة في المجتمعات التي تعتني بها، ودليلا على حراك ثقافي وعلمي في الأمة في أحقاب زمنية متعاقبة. وركيزة أساسية في بلورة كيان الأمة وتحديد هويتها. فإنه « لم تقم نهضة جادة في أمة من الأمم إلا سبقتها دعوة ملحة إلى إحياء الماضي وبعث التراث بعنا صحيحا والبناء عليه والإضافة إليه... والمستقبل ما هو إلا الماضي مروراً بالحاضر».¹

ووادي ميزاب - كغيره من عديد مناطق العالم الإسلامي - يتميز برصيده الثري من نفائس المخطوطات، حيث يقدر إجمالي مخطوطات وادي ميزاب بأكثر من 8000 مخطوط، لا يزال أغلبها حبيس خزائن المكتبات الخاصة والعامة، وقد أحصى الباحث محمد الحاج سعيد حوالي 114 مكتبة بوادي مزاب. وإذا علمنا أن الحاج سعيد أنجز إحصاءه سنة 1992م، وأنه قد تم اكتشاف بعض خزائن الكتب الخاصة والتي لم تدخل في الإحصاء، وخزائن أخرى لم تنزل طي الخفاء فإن عدد المكتبات يكون أكثر بكثير مما ذكر.²

وإحساسا بأهمية العناية بالتراث الفكري للمنطقة والمتمثل في مخطوطاتها فقد بُذلت جهودٌ معتبرة منذ بداية القرن الماضي من قبل أشخاص وهيئات عامة وخاصة لخدمته؛ بتصويره وتصنيفه ثم فهرسته؛ تيسيرا لمهمة الباحثين والدارسين لتراث المنطقة والجزائر عموما، بأبعادها الجغرافية والدينية والثقافية.

وسنحاول من خلال هذه الورقة البحثية إبراز بعض من هذه الجهود، والقيام بقراءة وصفية لبعض الفهارس التي أنجزت إلى حد كتابة هذه الأسطر.

أولا: الجهود الفردية والجماعية لخدمة المخطوط بوادي مزاب:

1- الجهود الفردية: والمتمثلة في الأعمال التي قام بها باحثون مستقلون اهتموا بالتراث في بدايات القرن

الماضي:

أ. جهود أبي إسحاق إبراهيم اطفيش (1886-1965م)

هو أبو إسحاق إبراهيم بن الحاج محمد اطفيش ولد ببلدة بني يزقن بغرداية سنة 1886م، أخذ مبادئ العلوم العربية والشرعية على يد عمه القطب اطفيش (ت: 1332هـ-1914م) في مسقط رأسه.

عرف أبو إسحاق في الأوساط السياسية والثقافية بكرمه الشديد للاستعمار الفرنسي الذي نفاه من الجزائر إلى تونس، وعرف بنشاطه ذاك في الأوساط التونسية، وما لبث أن جاءه قرار النفي والإبعاد من السلطات الفرنسية على أن يختار أي بلد يشاء، فاختار مصر.

وفي القاهرة وجد المجال واسعا للتكوين والتبحر في كل مجالات الحياة، فنشط في ميدان السياسة والفكر وقام بأعمال جليلة في الصحافة، وتحقيق التراث، والتأليف، إلى جانب نشاطه الاجتماعي مع الجمعيات الخيرية ذات التوجه الإصلاحية الإسلامي.

إن عزيمة أبي إسحاق القوية وإرادته الصلبة مكنته من إنقاذ نفائس التراث الإسلامي المغربي منه خاصة، ونشره محققا، مستغلا المنصب الذي شغله بدار الكتب المصرية بالقاهرة، حيث أسندت إليه وزارة الداخلية المصرية في سنة 1359هـ/1940م مهمة الإشراف على قسم التصحيح وتحقيق التراث بدار الكتب المصرية.³ ومن أهم تلك المؤلفات التي طبعت وحقت علي يديه نذكر ما يأتي:⁴

1- تراث شيخه محمد بن يوسف اطفيش:

- شرح كتاب النيل وشفاء العليل، والذي يعد حاليا مرجعا للدارسين في الفقه الإباضي، وقد وقف أبي إسحاق على طبعه وصححه وذلك سنة 1343هـ/1924-1925م.
- كتاب الذهب الخالص المنوه بالعلم القالص، وهو كتاب في الفقه المقارن، قام أبي إسحاق بطبعه والتعليق عليه، كما صدر الكتاب بمقدمة تعريفية عن حياة المؤلف، وكان ذلك سنة 1343هـ/1924-1925م.

- كتاب شامل الأصل والفرع، الذي ألفه القطب في آخر حياته في جزئين، وقد التزم أبو إسحاق بطبعه وتصحيحه سنة 1348هـ/1929-1930م.
- كتاب الرسم في تعليم الخط، وقد قام أبو إسحاق بتصحيحه وطبعه سنة 1349هـ/1930-1931م.

2- كتب تراثية أخرى:

- كتاب الوضع في الأصول والفقه لأبي زكرياء يحيى بن أبي الخير الجناوني النفوسي (ق: 5هـ / 11م)، قام أبو إسحاق بنشر الكتاب والتعليق عليه، كما صدره بمقدمة تعريفية بالكتاب ومؤلفه، ونبذة عن تاريخ نفوسة.
- رسالة تلقين الصبيان ما يلزم الإنسان، للإمام نور الدين أبي محمد عبد الله بن حميد السالمي (ت: 1332هـ/1914م)، طبعها أبو إسحاق بعد أن صححها وعلق عليها وذلك سنة 1344هـ-1925-1926م.
- جوهر النظام في علمي الأديان والأحكام للإمام السالمي، (ت: 1332هـ/1914م)، قام أبو إسحاق بطبعه وتصحيحه والتعليق عليه وذلك سنة 1346هـ/1927-1928م.

- كتاب الملاحن للإمام أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، (ت: 321هـ-933م)، صححه أبو إسحاق وعلق عليه وذيله بذيل وذلك سنة 1347هـ/1928-1929م.

- مقدمة التوحيد وشروحها للشيخ بدر الدين أبي العباس أحمد بن سعيد الشماخيت: (ت: 928هـ-1522م) والشيخ أبي سليمان داود بن إبراهيم التلاي، (ت: 967هـ/1560م). صححها وعلق عليها أبو إسحاق وطبعها سنة 1353هـ/1934-1935م.

ثانيا: جهود السيد الحاج سعيد محمد:

هو السيد محمد بن أيوب بن الحاج سليمان بن الحاج أيوب من عائلة الحاج سعيد من مواليد سنة 1953م بغرداية، نشأ في أحضان عائلة كريمة أنجبت أعلاما ساهمت في تفعيل الحياة الثقافية والفكرية في المنطقة. تتلمذ على يد مشائخ المنطقة كعادة أترابه، وتحصل على شهادة مساعد محاسب من المدرسة التقنية سنة 1982م.

ظهر اهتمام السيد الحاج سعيد بالتراث جليا من خلال احتكاكه بالعلماء والشخصيات المهمة بالتراث الإباضي من داخل الوطن وخارجه، حيث كانت له عدة لقاءات مع مستشرقين اهتموا بتراث وادي مزاب من هؤلاء:

- البروفيسور تادوش لفتسكي الخبير في المذهب الإباضي وتاريخ البربر.

- د. يوسف فاهس الألماني المختص في الدراسات الإسلامية والإباضية.

- د. روبرتو روبرتشي باحث في المذهب الإباضي ومدرس في معهد الاستشراق في نابولي بإيطاليا.

- د. القس كوبرلي الباحث والمتخصص في المذهب الإباضي.

- د. هرليش ربستك باحث في المذهب الإباضي وتاريخه في شمال إفريقيا في ألمانيا.⁵

ويملك الحاج سعيد محمد مكتبة خاصة جمع فيها نفائس الكتب عن طريق الشراء والإهداء أحيانا، حيث كان يتتبع الأسواق وبخاصة سوق بني يزقن، وكلف دلالا يترقب الكتب المعروضة للشراء وشرائها مهما بلغ ثمنها. كما أثرى مكتبته من خلال تعقب التركات واقتناء ما يعرض فيها، على غرار مخلفات عميه لأمه الشيخ

حمو بابا وموسى وشقيقه الحاج محمد، حيث استطاع أن يسترجع ما تسرب من مكتبتيهما بعد وفاتهما.⁶

ومن جهود السيد الحاج جمعه للصور الفوتوغرافية والمستنسخات الآلية لمخطوطات الإباضية من

مكتبات ومراكز خارج الوطن، من خلال رحلاته إلى العديد من البلدان العربية والغربية كالمغرب والسعودية

وتركيا وإيطاليا وبولونيا وألمانيا وروسيا.⁷

كما شارك في العديد من المعارض والندوات والملتقيات؛ معرّفا بالرصيد الثقافي للمنطقة، ومستنهضا

لهم الباحثين بغية الاهتمام بالتراث وتحقيقه.

يشهد القاصي والداني في المنطقة للسيد الحاج سعيد اهتمامه بشؤون المخطوطات، وكذا وثائق وادي

مزاب وتاريخه، إذ يعد مرجعا للباحثين وسندا لهم في سبر أغوار المخطوطات في المنطقة. وكانت ثمرة جهوده

إنشأؤه جمعية ثلة من الرجال المهتمين بالمخطوط، لجمعية الشيخ أبي إسحاق إبراهيم أطفيش لخدمة التراث بغرداية، ويشغل حاليا منصب رئيس الجمعية.

2- الجهود الجماعية: والمتمثلة في جهود تبنتها جمعيات وهيئات في نهاية القرن الماضي ولا تزال، وسنقتصر على الهيئات التي تبنت أعمالا في فهرسة المخطوطات أو تصويرها ومن هذه الجمعيات نذكر:

أ. جمعية التراث بالقرارة:

تأسست الجمعية بفكرة شخصية لدى "الدكتور محمد ناصر"، ثم تبلورت بعد تأييد من بعض مشايخ بلدة القرارة، وتحصل الجمعية على الرخصة الرسمية في شهر ماي 1989م.

وقد سطرت الجمعية لنفسها منذ تأسيسها برامج طموحة، انطلاقا من أهدافها، والتي من أهمها جمع التراث وترميمه، والحفاظ عليه بالتصوير والتسجيل، والنسخ، والطباعة، والنشر، والمحافظة على التراث الفكري المكتوب.⁸

وفي تسعينيات القرن الماضي تبنت الجمعية مشروعا لفهرسة المخطوطات في إطار عمل جماعي لباحثين أطلق عليه: "نحو دليل مخطوطات وادي مزاب". حيث استطاع المشروع أن يقنع كثيرا من أصحاب المكتبات بفتح خزائن مخطوطاتها أمام المهرسين.

فاجتمعت ثلة من الطلبة والباحثين في أيام مغلقة سميت بأيام غار أجماج،⁹ وتمكنوا من إتمام فهرسة حوالي ثمان مئتي مكتبات وهي:

1- فهرس عشيرة آل يدر ببني يزقن سنة 1414هـ/1994م.

2- فهرس مكتبة الشيخ عمي سعيد بغرداية، سنة 1415هـ/1994م.

3- فهرس مكتبة البكري بالعطف، سنة 1414هـ/1994م.

4- فهرس مكتبة إيروان بالعطف. سنة 1995م.

5- فهرس مكتبة عشيرة آل فضل ببني يزقن. سنة 1416هـ/1996م.

6- فهرس مكتبة عشيرة آل خالد ببني يزقن سنة 1417هـ/1997م.

7- فهرس مكتبة الشيخ ابن ادريسو ببني يزقن. سنة 1419هـ/1998م.

8- فهرس مكتبة بو عيسى عيسى ببني يزقن. سنة 1415هـ/1995م.

وقد انطلق العمل بمجموعة من أربعة باحثين ثم انضم إليهم باحثون فوصل عدد المساهمين في إعداد كل الفهارس إلى عشرين باحث. وتجدر الإشارة إلى أن الجمعية باشرت في إطار المشروع في فهرسة مكتبات أخرى، إلا أن العملية لم تكتمل لظروف خاصة بالجمعية، وأهمها تعثر التمويل المادي للمشروع، ومن هذه المكتبات نذكر:¹⁰

1- مكتبة الشيخ إبراهيم متياز ببني يزقن.

2- مكتبة الشيخ محفوظ ببني يزقن.

- 3- مكتبة القطب ببني يزقن. (وقد شرعت جمعية أبي إسحاق في فهرستها).
- 4- مكتبة معهد الإصلاح بغرداية. (راجعها وفهرستها جمعية أبي إسحاق).
- 5- مكتبة الشيخ باسة بورقلة. (راجعها قسم التراث بمؤسسة الشيخ عمي سعيد وقام بفهرستها).
- 6- مكتبة بومعقل عيسى بورقلة.
- 7- مكتبة الشيخ باباوموسي حمو بغرداية. (راجعها قسم التراث بمؤسسة الشيخ عمي سعيد وقام بفهرستها).
- 8- مكتبة الحاج سعيد محمد بن أيوب بغرداية. (راجعها قسم التراث بمؤسسة الشيخ عمي سعيد وقام بفهرستها).

يعتبر مشروع نحو دليل مخطوطات وادي مزاب بشرى لكل الباحثين في التراث، وفتحاً لمكتبات وادي مزاب، وببادرة خير حفزت العديد من المكتبات على فتح أبوابها للعاملين الفاعلين في خدمة التراث، لما ظهرت ثمار المشروع وأضحت بادية للعيان. كما حملت مؤسسات أخرى على التفكير في ولوج هذا المجال حفاظاً على ذاكرة المنطقة من أن تندثر.

ب. قسم التراث بمؤسسة الشيخ عمي سعيد:

مؤسسة الشيخ عمي سعيد مؤسسة تربوية غير ربحية تمتد جذورها إلى تاريخ تأسيس حلقة العزابة بالجزائر في بداية القرن الخامس الهجري، الحادي عشر الميلادي، تقيم بتكوين الفرد لأداء واجبه نحو نفسه وأسرته ومجتمعه ووطنه والإنسانية جمعاء، تشرف على التعليم الابتدائي والمتوسط والثانوي للبنين والبنات بتأسيسها لمعهد عمي سعيد سنة 1393هـ - 1973م، كما توفر فرصاً للتخصص في العلوم الإسلامية لمرحلة ما بعد الثانوي، بتأسيس قسم التخصص في العلوم الإسلامية سنة 1409هـ - 1988م.¹¹

تقيم المؤسسة بالتراث ضمن نشاط مكتباتها التي تحوي آلافاً من المخطوطات والكتب؛ خدمة للباحثين، ونشراً لثقافة القراءة في الأوساط. فأنشأت المؤسسة ضمن هياكلها قسماً خاصاً أطلقت عليه: "قسم التراث والمكتبة"، أسندت له مهمتين:

1- المكتبة: والتي أنشئت سنة 1969م، ومقرها الحالي بحي حواشة وسط المدينة، وقد عرفت المكتبة تزويدات واسعة من مختلف المكتبات والشخصيات، خاصة في الآونة الأخيرة، لتصبح من أضخم المكتبات في وادي مزاب، إذ تحتوي على حوالي 9500 كتاب مطبوع، و2000 كتاب مخطوط، وفي مختلف التخصصات العلمية.¹²

2- التراث: استشعاراً من إدارة المؤسسة بالمسؤولية التاريخية وجهت قسماً وافراً من جهودها في سبيل خدمة التراث جمعاً وحفظاً ودراسة وتحقيقاً ونشراً. وكانت كل الأعمال التي أنجزتها المؤسسة في مجال التراث تحمل شعار: "رسالة التراث". ومن المشاريع التي تقوم بها المؤسسة في هذا المجال:

- تحقيق كتابي "قواعد الإسلام" و"فناطر الخيرات" للشيخ إسماعيل بن موسى الجيطالي النفوسي (ت: 750هـ).
- جمع وتحقيق جوابات قطب الأئمة الشيخ أحمد بن يوسف اطفيش.
- إصدار فهرس وصفية لمخطوطات خزانة المؤسسة وغيرها، حيث قامت مؤسسة الشيخ عمي سعيد بإصدار 9 فهرس للمخطوطات مكتبات وادي مزاب منذ سنة 1423هـ-2002م، بدأت بهفهرس لمخطوطات خزانة العامة ليصل عملها إلى نهاية 1431هـ-2010م بهفهرس لمخطوطات الخزانة للشيخ بانوح بن أحمد مصباح والشيخ صالح بن حمو باهمون، وتمثل الفهارس التي أنجزتها المؤسسة فيما يأتي:¹³
- فهرس مخطوطات الخزانة العامة. (1423هـ-2002م).
- فهرس مخطوطات خزانة الشيخ حمو بابا وموسى (1424هـ-2003م).
- فهرس مخطوطات الخزانة الثلاث: الشيخ صالح بن كاسي، الحاج بكير بوكرموش، الفاضل باحمد أشقبق، (1426هـ-2005م).
- فهرس مخطوطات مكتبة الأستاذ محمد بن أيوب الحاج سعيد (الخجورات) (1426هـ-2005م).
- فهرس مخطوطات خزانة دار التعليم للمشايخ: مامة بنت سليمان بياز، بكير بن عمر موسى واعلي، بكير بن علي موسى واعلي، (1428هـ-2007م).
- فهرس مخطوطات خزانة الشيخ القاضي أبي بكر بن مسعود الغرداوي الشهير بالشيخ الحاج بابكر، (1428هـ-2007م).
- فهرس مخطوطات خزانة دار التلاميذ "إروان" بجامع غرداية الكبير (1430هـ-2009م).
- فهرس مخطوطات خزانة باسة بن أم موسى الوارجلاني (1431هـ-2010م).
- فهرس مخطوطات الخزانة للشيخ بانوح بن أحمد مصباح والشيخ صالح بن حمو باهمون، (1431هـ-2010م).
- ويتمثل عمل مؤسسة الشيخ عمي سعيد في مجال رعاية وخدمة المخطوطات تمثل في أربعة وظائف وهي:
 - الاقتناء والجمع
 - الترميم والصيانة
 - الجرد والفهرسة
 - الحفظ والاستثمار
- وتعد هذه الوظائف مراحل أساسية لمشروع بعيد المدى تبنته المؤسسة والذي سيكفل بدار للمخطوطات لتكون مقرا مناسباً لأعمال رعاية المخطوطات.¹⁴
- ثالثاً: جمعية أبي إسحاق اطفيش لخدمة التراث بغرداية:

تأسست "الجمعية" بتاريخ 11 أبريل 1995م، باعتماد رسمي من ولاية غرداية، الجزائر، بوصفها هيئة بحرية علمية، تعمل على تشمين جهود الباحثين في حقل التراث عامة والتراث الإباضي خاصة. وكانت فكرة إنشاء الجمعية تشميناً لعدة تجارب وأفكار، لعل أبرزها تجربة الأستاذ محمد بن أيوب الحاج سعيد (الخبورات)، وهو يشغل حالياً منصب رئيس الجمعية.¹⁵

تعتبر جمعية أبي إسحاق من المؤسسات الخيرية الرائدة في مجال حفظ التراث، وبالاخص المخطوط منه، لذا فقد جعلت من أهم أولويات مشاريعها العمل على تأمين رصيد المخطوط في وادي مزاب وصيانتها، بغية اكتشاف الكنوز المغمورة في وادي مزاب وحفظ مخطوطاتها، ودعمومة الاستفادة منها، باستعمال التقنيات التكنولوجية الحديثة لتسهيل تعامل الباحثين والدارسين معها.

ولتجسيد المشروع فقد سلكت الجمعية أحسن الطرق التكنولوجية الحديثة والمتمثلة في:

- التصوير الميكروفيلمي (حفظ طويل المدى، حوالي 70 سنة) لدعمومة المحتويات.
 - التصوير الرقمي (حفظ متوسط المدى، حوالي 5 سنوات) لسهولة التداول.
 - باشرت الجمعية في المشروع خلال موسم 1995-1996م، وقد تم تصوير عدة مكبات وخزائن منها:
 - خزانة الشيخ القاضي أبي بكر بن مسعود الغرداوي.
 - مكتبة عشيرة آل يدر ببني يزقن.
 - مكتبة عشيرة آل خالد ببني يزقن.
 - مكتبة البكري بالعطف.
 - مكتبة قطب الأئمة.
 - مكتبة الإصلاح بالراعي بغرداية.
- ويشتمل المشروع على خطوات وعمليات تقنية وأخرى علمية، يمكن أن نوجزها في الترتيب الآتي:
- أولاً: إحصاء المكتبات.
- ثانياً: فهرسة المخطوطات.
- ثالثاً: رقن الفهارس.

رابعاً: التصوير الرقمي، أو التصوير الميكروفيلمي.

خامساً: تصفيف الأفلام والأقراص، ومقابلتها مع الفهارس.

سادساً: التصفح الافتراضي في مخطوطات المكتبات، وتسيير المحتويات الرقمية عن طريق برنامج كمبيوتر

(برنامج المعصومة لمعاينة المخطوط).¹⁶

وقد عكف مؤخراً فريق عمل الجمعية على فهرسة مكتبة القطب، بعد أن أصدر فهرساً جردياً لمحتويات المكتبة التي تعد أغنى مكتبة بوادي مزاب، حيث تحتوي على 968 وحدة، والمقصود بالوحدة ما بين دفتي

الجلدة أو الغلاف "سفر" بغض النظر عن عدد العناوين التي تكون داخل هذه الوحدة، قد تصل أحيانا إلى العشرات.

وترجع أهمية المكتبة إلى الروافد التي استقت منها، وإلى تنوع الفنون التي تحويها، ولا غرو فهي مكتبة عالم جليل، وتشهد لذلك خزانته التي تحوي إنتاجه العلمي الغزير والذي يتنوع بين تأليف مطول ومختصر وبين شرح وحاشية، فضلا عن بعض المؤلفات التي خرجت من الخزانة ولم ترجع أو تلك التي ربما ضاعت فلم ينس سوى عناونها.¹⁷

ثانيا: قراءة وصفية في مضامين بعض الفهارس المنجزة:

سنحاول القيام بقراءة تحليلية وصفية لمضامين بعض الفهارس التي أنجزت، وسنقتصر على ما أنجز من قبل جمعية التراث ضمن دليل مخطوطات وادي مزاب، وكذا الفهارس التي أنجزها قسم التراث والمكتبة لمؤسسة الشيخ عمي سعيد ولا يزال.

1- فهارس جمعية التراث:

أشرنا عند حديثنا عن جهود جمعية التراث أنها تبنت مشروع عمل جماعي أطلق عليه "نحو دليل مخطوطات وادي مزاب" أثمر 8 فهارس. متبعة في أغلبها الطريقة الآتية:¹⁸

- تنظيف المخطوط.
- ترتيب وتنسيق ما اختلط منه إن وجد.
- ترقيم أوراق المخطوط بقلم الرصاص..
- ضبط المعلومات في استمارة المخطوط: (الرقم في المكتبة، عنوان المخطوط، المؤلف، تاريخ وفاة المؤلف، موضوع المخطوط، أول المخطوط، آخر المخطوط، النسخ، تاريخ النسخ، رقم الجزء، عدد الأوراق، عدد الأسطر، المقاس، كمال المخطوط أو خرمه، حالة الخط ونوعه، لون المداد، ملاحظات أخرى).
- تصنيف المخطوط وترتيبه في المكتبة ترتيبا جديدا.
- استنساخ أهم المخطوطات في المكتبة والتي يخاف تلفها.
- ترتيب استمارات المخطوط ومراجعتها.
- محاولة استخراج المجاهيل من العناوين والمؤلفين...
- تصنيف معلومات الاستمارات في الكمبيوتر حسب مواضيعها.
- إنجاز الكشافات المساعدة.
- كتابة مقدمة للفهرس ثم السحب النهائي.
- وفيما يلي قراءة في بعض الفهارس المنجزة:

أ. فهرس مكتبة عشيرة آل بدر ببني يزقن:

ويعد أول فهرس يصدر في إطار دليل المخطوطات وذلك في رمضان 1414هـ الموافق لشهر فيفري 1994م.

يرجع أصل ملكية مكتبة عشيرة آل خالد إلى الشيخ محمد بن باحمد بن يحيى (حي في 1351هـ)، وباحمد بن حمو بن يحيى بدر (حي في 1352هـ).

ومعدل عمر المكتبة أكثر من قرنين من الزمن.¹⁹

يحتوي الفهرس على 259 صفحة، مجموع 594 عنوان، منها 128 في النظم والقصائد، و466 مؤلفات نثرية، وتحتل المؤلفات الفقهية الصادرة بمجموع 158 عنوان، ثم المواعظ والابتهالات والفضائل في 96 عنوان، والعلوم الرياضية والحديثة ب 70 عنوان، واللغة العربية وعلومها ب 63 عنوان.

ب. فهرس مكتبة آل فضل ببني يزقن:

تمتلك مكتبة آل فضل خزانة من مخطوطات نفيسة في علوم مختلفة، ورغم قدم المكتبة نسبيا وتعرضها في فترة ما إلى نوع من الإهمال إلا أن مجموع عدد المخطوطات الكاملة يبلغ أكثر من نصف المجموع الإجمالي لمخطوطات الخزانة.²⁰

ويعتبر السيد موسى بن عمر بن يعقوب بن موسى منشئ المكتبة، وهو الذي أوصى بحبسها، ثم انتقلت إلى أبنائه أبا عن جد والذين ساهموا في إثرائها، كما ساهم في إثراء هذه المكتبة الشيخ أبو زكرياء يحيى بن صالح الأفضلي. (ت: 1202هـ-1787م).

وتظهر أهمية المكتبة في تواريخ نسخها التي يرجع أكثرها إلى القرنين 11-12/هـ 17-18م، كما يرجع بعضها إلى القرنين 9-10 هـ/15-16م، ويرجع أقدمها إلى 669م.²¹

وقد تم الفراغ من فهرسها بإنجاز من السيد بوراس يحيى وإشراف جمعية التراث وذلك سنة 1416هـ-1996م. فظهر الفهرس في 185 صفحة، اشتملت على 508 عنوان في شتى الفنون منها 98 عنوان في القصائد والنظم، و410 عنوان في الأعمال النثرية. وقد كان للفقه النصيب الأوفر من مجموع المؤلفات ب 125 عنوان، ثم اللغة العربية وعلومها ب 102 عنوان، والعلوم الرياضية الحديثة ب 58 عنوان، والتاريخ والجغرافيا ب 53 عنوان.

ج. مكتبة عشيرة آل خالد ببني يزقن:

المكتبة ملك من أملاك عشيرة آل خالد ببني يزقن، تحتوي على خزانة الشيخ محمد بن عيسى أزبار، (ت: 1296هـ-1872م)، وقد كانت عند أحفاد ثم وضعت تحت تصرف العشيرة. تعتبر أكبر مكتبة شاملة لمخطوطات عمانية مشرقية في المغرب عموما، فمالكها الأصلي الشيخ أزبار جلبها معه من عمان، بعد أن استقر بها لفترة.²²

لم تصنف المخطوطات في الفهرس حسب مواضيعها كما هو حال الفهارس الأخرى، وإنما اكتفى فيها بكشاف مستقل للمواضيع وضعت أمامها أرقام المخطوطات التي تندرج فيها. كما أن بطاقات المخطوطات رُقمت برقم البطاقة وليس بالصفحات.

وقد تم الفراغ من وضع الفهرس في ذي القعدة من سنة 1417هـ - يوافقه شهر ديسمبر من سنة 1997م. وقد اشتمل على 282 عنوان منها 152 كتاب في الفقه، و33 كتاب في اللغة العربية وعلومها، و28 كتاب في العقيدة وعلم الكلام.

وأقدم نسخة في المكتبة هي لكتاب "سبوح النعم" وهو لمؤلف مجهول، تم نسخها في 900هـ من قبل زايد بن يسفاو الوسياني.

د. فهرس مكتبة الشيخ محمد بن سليمان ابن ادريسو بن يزن:

تحتوي المكتبة على جزأين:

الأولى: خزنة الحاج صالح بن سليمان ابن ادريسو.

الثانية: خزنة الحاج عمر بن صالح ابن ادريسو.

أصل المكتبة هي للشيخ محمد بن سليمان ابن ادريسو (ت: 1313هـ - 1896م)، بها جل مؤلفاته، إضافة إلى اقتناءات مختلفة، ثم انتقلت إلى ابنه سليمان وصالح اللذين ساهما في إثرائها، وهي حاليا عند حفيديه الحاج صالح بن سليمان والحاج عمر بن صالح.

وتتميز المكتبة بكتب مطبوعة وبأعداد هائلة للتراث الأسبوعية للشيخ أبي اليقظان.²³

والفهرس لم يكمل في إطار عمل جمعية التراث وقد أخذ زمام الأمور من بعدها الأستاذ ابن ادريسو مصطفى بن محمد ليكمل العمل في رمضان من سنة 1419هـ - يوافقه شهر ديسمبر من سنة 1998م.²⁴ والفهرس يقع في 94 صفحة، ومقسم إلى قسمين، لكل خزنة وضع لها فهرس مستقل. مجموع 254 عنوان، منها 82 كتاب في الفقه، و32 كتاب في الوعظ والزهد والفضائل، و19 عنوان في العقيدة وعلم الكلام.

ثانياً: فهرس قسم التراث والمكتبة لمؤسسة الشيخ عمي سعيد بغرداية:

استطاع قسم التراث والمكتبة بمؤسسة الشيخ عمي سعيد أن يحمل المشعل بعد جمعية التراث لما توقف مشروع دليل المخطوطات، فتمكنت من فهرست 9 مكينات خاصة وعامة بمدينة غرداية. وقد كان العمل في بداية الأمر جماعياً في دورات مغلقة، ثم تفرغ للعمل كل من الأستاذ بشير الحاج موسى، مدير قسم التراث والمكتبة، جمعية الخبير في مجال المخطوط الأستاذ يحيى بوراس. ومما غيّر به هذا العمل عن سابقه:²⁵

- فصل مخطوطات الأعمال الثرية عن التنظيمية في الفهرس ووضع كل منهما في قسم مستقل عن

الآخر.

- ترقيم المخطوطات على أساس ترتيبها في الخزائن والذي كان على حسب الأحجام.
- وضع ملاحق مشتملة على قوائم للمصاحف والمخطوطات المصورة، والوثائق المستقلة.
- وقد تضمنت عملية الفهرسة في أغلب فهارس قسم التراث والمكتبة على الخطوات الآتية:
- تنظيف المخطوط وترتيب أوراقه.

- ترقيم أوراق المخطوط.

- وضع معلومات كل مخطوط في استمارة خاصة.

- ترتيب المخطوطات في الخزانة على حسب الأحجام وترقيمها على تلك الوضعية.

- تصنيف الاستثمارات على حسب المواضيع.

- تصنيف محتوى الاستثمارات على الحاسوب.

- وضع الكشافات العامة المساعدة.

وفيما يلي عرض لأهم الفهارس المنجزة من قبل القسم:

أ. فهرس الخزانة العامة:

الخزانة هي ملك للمؤسسة وقد كانت في بداية الأمر تابعة للمدرسة القرآنية التي يشرف عليها المسجد الكبير بغرداية. ثم عرفت تزويدات مختلفة على أيدي أعضاء من إدارة المؤسسة، كما تدعمت بمكتبات محبسة وأخرى موروثه لمشايخ منهم: الشيخ بهون فخار تلميذ قطب الأئمة (ت: 1394هـ - 1974م)، والشيخ إبراهيم كوله تلميذ القطب أيضا (ت: 1363هـ - 1944م)، ويوسف تزبنت قاضي المحكمة الإباضية بقسنطينة (ت: 1387هـ - 1968م). وغيرهم.²⁶

ويعتبر فهرس الخزانة العامة أول فهرس ينجزه قسم التراث والمكتبة بمؤسسة الشيخ عمي سعيد، وكان ذلك في شهر شعبان من سنة 1423هـ يوافق شهر أكتوبر من سنة 2002م. ويضم بين دفتيه 725 عنوانا في 316 صفحة. منها 449 عمل نثري، و276 من الأعمال النظمية.

وكان للمواضيع الفقهية النصيب الأوفر ب 118 عنوان، ثم التاريخ والجغرافيا ب 94 عنوان، والعقيدة وعلم الكلام ب 79 عنوان، واللغة العربية وعلومها ب 74 عنوان.

بالفهرس ملحقان أحدهما للمصاحف الشريفة والتي تضم 34 مصحفا، وآخر للمخطوطات المصورة

والتي يبلغ عددها 83 مخطوطا.

ويرجع أقدم نسخة في خزانة إلى سنة 697هـ وهو يضم مجموعة من الأحاديث الأربعينية.

ب. فهرس خزانة القاضي أبي بكر بن مسعود الغرداوي بغرداية:

تواجد خزانة القاضي أبي بكر حاليا بجمعية أبي إسحاق اطفيش لخدمة التراث بغرداية، وضعها أحفاد

الحاج بابكر في يد الجمعية بغية فهرستها وتنظيمها.

وقد تكفل قسم التراث بمؤسسة الشيخ عمي سعيد بمهمة فهرستها في إطار مشروع القسم، وتم ذلك في رجب من سنة 1428هـ الموافق لشهر أوت 2007م.

ويضم الفهرس 334 عنوانا في 180 صفحة، منها 228 عنوان في قسم الأعمال النثرية، و106 في قسم الأعمال النظامية، ويبلغ عدد المخطوطات الفقهية 86 عنوانا، واللغوية 49 عنوانا.

وتحتوي الخزانة على أقدم نسخة من كتاب المستصفي للغزالي (ت: 505هـ)، يرجع تاريخ نسخها إلى سنة 552هـ. نسخها علي بن أبي القاسم نصر بن محمد بن أحمد العتري.

بالإضافة إلى امتلاك الخزانة لمجموعة من النسخ القديمة فإن أهمية المكتبة تعود أيضا إلى تميزها عن غيرها بعناوين فريدة، وكذا سلامة مخطوطاتها من الخرم والنقص على غير عادة أغلب مخطوطات.²⁷

ج. فهرس مخطوطات خزانة دار التلاميذ (إروان) بجامع غرداية الكبير:

أصل الخزانة يعود إلى نشأة دار التلاميذ في زمن الشيخ عمي سعيد الجري (ت: 898هـ / 1492م)، وهو ما أشار إليه صاحب ملحق السير حين ترجم للشيخ عمي سعيد من وجود خزانة بدار التلاميذ بغرداية في القرن 10 الهجري.²⁸ ثم تزودت عن طريق عدة مصادر منها:

- الوقف والحبس لفائدة الخزانة.
- ضم خزائن أو أقسام منها عند انعدام أحد شروط الواقف.
- ضم الكتب التي لم يعلم أصحابها.
- عمليات النسخ.²⁹

وقد تميزت الخزانة عن غيرها من الخزائن بعدة مميزات زادت من أهميتها منها:

- كونها تجربة رائدة للمكتبات العمومية، إضافة إلى عامل السبق، إذ يبلغ عمرها حوالي 5 قرون.
- كونها أقدم مكتبة عمومية بقيت ماثلة إلى العصر الحديث في مزاب.
- هي أكبر مكتبة في قصر غرداية حيث تضم 1303 عنوانا
- كونها أثرا علميا خصبا للنشاط العلمي، والنظام التربوي المعمول به في وادي مزاب والمتمثل في "هيئة إروان" أو هيئة التلاميذ.³⁰

تم الفراغ من إعداد الفهرس في شهر ربيع الثاني من سنة 1430هـ الموافق لشهر أفريل من سنة 2009م، ويقع الفهرس في 584 صفحة ويضم 1193 عنوانا، منها 894 في الأعمال النثرية، و299 في الأعمال النظامية، وقد شغلت المواضيع الفقهية الحيز الأكبر ب 342 عنوان، ثم اللغوية ب 203 عنوان، فالعقيدة ب 128 عنوان. وقد ذيل الفهرس بملحقين أحدهما للمصاحف الشريفة التي بلغ عددها 110 مصحفا، وأما الثاني فكان لنماذج مصورة لبعض المخطوطات.

وأقدم نسخة بالخزانة لكتاب ديوان الأشياخ (ق 5هـ)، تم نسخها في 889هـ من قبل أحمد بن إبراهيم بن عمر المصعبي.

د. فهرس مخطوطات الخزانين للشيخين بنوح بن أحمد مصباح وصالح بن حمو باهون بغرداية: يشتمل الفهرس على خزانين مستقلتين، قام القسم بفهرستها بعد تقدم بهما أبناء الشيخين، وقد تم الفراغ من فهرسة الخزانين في سنة 1431هـ الموافق لسنة 2010م. والذي يعتبر آخر إصدار لقسم التراث إلى حد كتابة هذه الأسطر.³¹

يقع الفهرس في 97 صفحة ويضم 119 عنوانا في كلتا الخزانين، منها 101 عنوان في الأعمال النثرية و18 عنوان في الأعمال النظمية.

وأقدم نسخة في الخزانين هي في خزانة الشيخ بنوح مصباح وهي لكتاب الصحاح لإسماعيل بن حماد الجوهري، والتي يعود نسخها إلى 912هـ.

يحتوي الفهرس على ثلاثة ملاحق وهي:

1- المصاحف الشريفة

2- صور لنماذج من المخطوطات

3- قائمة ما بقي من الأوراق المتفرقة المخطوطة التي لم تدرج في الفهرس.

خاتمة:

في ختام هذا العرض يبقى أن نشير إلى أننا حاولنا استعراض نماذج لبعض الخزائن والمكتبات التي تم فهرستها ضمن جهود جماعية لهيئات وجمعيات، وبالتالي لا يعني أننا استوفينا كل أعمال الفهرسة لمكتبات وادي مزاب، فقد ظهرت بعض الجهود الفردية لبعض المكتبات أو الباحثين من الذين شاركوا في فهرسة المكتبات السابقة واستفادوا من تجربتها، ومن هذه الأعمال نذكر ما يأتي:

1- فهرس مكتبة الحاج صالح لعلي ببي يزقن.

2- فهرس خزانة الشيخ بيانو محمد بن يوسف ببي يزقن.

3- فهرس مكتبة الإستقامة ببي يزقن.

4- فهرس مكتبة أوزكري إبراهيم ببي يزقن.

ورغم الجهود التي بذلت ولا تزال في سبيل حماية مخطوطات مكتبات وادي مزاب، وإخراج المخطوط إلى الحياة العلمية ليؤدي دوره الذي أنيط به، وأراده منه مؤلفه؛ إلا أن العديد منها لا يزال حبيس الخزائن، أحكم أصحابه الإغلاق عليه إلى درجة الإضرار به، فكان مرتعا للأرضة، يترقب لحظة الخلاص.

الهوامش:

¹ - ينظر: محمد ناصر بوحجام: ملاحظات حول تاريخنا القديم، (ط2) المطبعة العربية- غرداية الجزائر، 1998م، ص: 40.

² - ينظر: جمعية التراث القرارة غرداية، فهرس مخطوطات آل بدر الفهرس الشامل لنحو 600 عنوان، 1414هـ-1994م، ص: ج، د.

³ - ينظر أحمد حمو كروم، الشيخ أبو إسحاق إبراهيم بن محمد اطفيش العالم العامل، (ط1) جمعية أبي إسحاق - غرداية، 1431هـ-2010م، ص12-13. جمعية التراث: معجم أعلام الإباضية من ق1هـ إلى 15هـ "قسم المغرب"، (ط1) غرداية: جمعية التراث، 1420هـ-1999م، رقم: 37.

- 4 - ينظر: أبو زكرياء يحيى بن أبي الخير الجناوني، كتاب الوضع مختصر في الأصول والفقه، تحقيق: أبو إسحاق إبراهيم لطيفش، (طبعة مكتبة الاستقامة، مسقط، د ت ن)، (مقدمة المحقق، ص 3-16) الدكتور محمد ناصر، الشيخ إبراهيم لطيفش في جهاده الإسلامي، (طبعة جمعية التراث، القاهرة، د ت ن)، ص 21، أحمد كروم، الشيخ أبو إسحاق العلم العامل، ص 27-29.
- 5 - ينظر: مؤسسة الشيخ صبي سعيد: فهرس مخطوطات مكتبة الأستاذ محمد بن أيوب الحاج سعيد (1426هـ-2005م)، ص: ج-هـ.
- 6 - ينظر: المرجع نفسه، ص: ج-هـ.
- 7 - ينظر: المرجع نفسه، ص: ل.
- 8 - ينظر: مواقع الجمعية www.tourath.org التعريف بالجمعية، 2012/03/30، مجلة الحياة، دورية فكرية يصدرها
- 9 - ينظر: مصطفى ابن دريسو، فهرسة المخطوطات والمكتبات في وادي مزاب "دراسة وتحليل"، مجلة الحياة، دورية فكرية يصدرها معهد الحياة وجمعية التراث القارة الجزائرية، العدد الثاني عشر، رمضان 1429هـ/أكتوبر 2008م، ص 198.
- 10 - ينظر: المرجع نفسه، ص 207.
- 11 - ينظر: موقع المؤسسة: www.irwane.org التعريف بالمؤسسة، 2012/03/30، ص: هـ و.
- 12 - ينظر: مؤسسة الشيخ صبي سعيد: فهرس مخطوطات الخزائن العامة، (1423هـ-2002م)، ص: هـ و.
- 13 - ينظر: مؤسسة الشيخ صبي سعيد: فهرس مخطوطات الخزائين للشيخين الشيخ باتوح بن أحمد مصباح والشيخ صالح بن حمو بلهون، 1431هـ-2010م، ص: أ.
- 14 - ينظر: المرجع نفسه، ص: ب.
- 15 - ينظر: موقع المنهاج الخاص بالجمعية: www.elminhaj.org التعريف بالجمعية، 2012/03/30، ورقة حول تجربة جمعية أبي إسحاق في تأمين المخطوط
- 16 - ومؤخرا نخل المشروع ضمن برنامج 2 ONG، ينظر: صالح سيوسو، وثائقها الأرشيفية، تصدر عن جمعية أبي إسحاق لخدمة التراث بغرداية، العدد الأول، محرم 1433هـ/نوفمبر 2011م، ص: 212-213، 219-220، عيسى بن يحيى حمو عبد الله، عضو الجمعية مكلف بالإسلام، سجل صوتي بتاريخ: 2012-03-25.
- 17 - ينظر: جمعية أبي إسحاق لطيفش لخدمة التراث، فهرس جردى لمكتبة الحاج أحمد بن يوسف لطيفش (القطب) بني يزقن غرداية الجزائر، 1430هـ-2008م، ص 3.
- 18 - ينظر: مصطفى ابن دريسو، فهرسة المخطوطات والمكتبات في وادي مزاب، مجلة الحياة، العدد الثاني عشر، رمضان 1429هـ/أكتوبر 2008م، ص 198-199.
- 19 - ينظر: جمعية التراث، فهرس مخطوطات آل بئر، ص: ي، ك.
- 20 - ينظر: جمعية التراث، فهرس مخطوطات خزائن آل فضل، 1416-1996، ص: أ.
- 21 - ينظر: المرجع نفسه، ص: هـ و.
- 22 - ينظر: جمعية التراث: فهرس مخطوطات مكتبة عشيرة آل خالد خزائن الشيخ محمد بن عيسى أزبار، القارة غرداية، 1417هـ-1997م، ص: 8، 11.
- 23 - ينظر: جمعية التراث: فهرس مخطوطات محمد ابن سليمان ابن دريسو خزائن الحاج صالح بن سليمان، وخزائن الحاج عمر بن صالح، القارة غرداية، 1419-1998، ص: 9.
- 24 - ينظر: مصطفى ابن دريسو، فهرسة المخطوطات والمكتبات في وادي مزاب، مجلة الحياة، ص: 204.
- 25 - ينظر: مؤسسة الشيخ صبي سعيد: فهرس مخطوطات الخزائن العامة، (1423هـ-2002م)، ص: ح.
- 26 - ينظر: المرجع نفسه، ص: و-ز.
- 27 - ينظر: مؤسسة الشيخ صبي سعيد: فهرس مخطوطات خزائن الشيخ القاضي أبي بكر بن مسعود الغرداوي، (1428هـ-2007م)، ص: هو، ك.
- 28 - ينظر: أبو القيسان إبراهيم: ملحق السير، مخ، (نسخة مصورة) ج 1/ص 6.
- 29 - ينظر: مؤسسة الشيخ صبي سعيد: مخطوطات خزائن دار التكليف (الروان) بجامع غرداية الكبير، أقدم وأكبر خزائن مخطوطات بمدينة غرداية، تقديم: أ.د. إبراهيم بحتار، (1430هـ-2009م)، ص: ق.
- 30 - ينظر: المرجع السابق، ص: د.
- 31 - ينظر: مؤسسة صبي سعيد: فهرس الخزائين للشيخين الشيخ باتوح مصباح والشيخ صالح بلهون، ص: أ.